

المقالة الحادية والعشرون^١

في ورود ربنا يسوع المسيح الثاني

يا بني النور تقدموا واهلموا ، وأسمعوا صوت مخلصنا ، الصوت المغبوط المبارك الهاتف إليكم :
"تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم ملك السماوات " .
فأحذروا يا إخوتي أن يعدم أحدكم هذا الميراث السعيد، فإنه ها هو على الأبواب ، إن النور نزل إلينا
فأنارنا ، وأداننا إليه ، وأصعدنا معه ، فإذ نزل إلينا ، صار من أجلنا مثلنا ليجعلنا مثله .
من لا يموت نزل إلى المائتين ؛ وحين جعلهم غير مائتين ، أرتقى إلى الآب ، وسيجيء بمجد أبيّة
المبارك يدين الأحياء والموتى .
صار لنا طريق حياة مملوءة نوراً ومجداً ، لنسلك نحن في النور إلى الآب، تعالوا يا أحبائي لنسلك في
الطريق التي أوراها لنا الرب ، لنصل بسرور إلى مملكته ، ولناخذ زاداً وزيتاً في أوعيتنا ، فليست
الطريق قصيرة .
فلنشد أحقاننا بالحق ، ومثل أناس وعبيد حافظين منتظرين سيدهم ، نوقد مصابيحنا ، ونستفيق
بشهادة ، لأننا منتظرون أن نستقبل ربنا من السماوات مقبلاً ، فلا نتعاس فيما بعد لئلا تنطفئ
مصابيحنا .
ها قد وافى النور ، فولى الليل وأتى النهار ، يا بني النور بادروا إلى النور أخرجوا بفرح إلى استقبال
ربكم .
أروه فضائلكم ، أتوا إليه بنسلككم ، وحميتكم ، وسهركم ، وأتعابكم، ودموعكم ، وهجركم للفتية ، لا
تضجعوا ، لا تعجزوا ، لا تنعسوا ، لا تترقدوا ، ولا ينظر أحد منكم إلى الرذائل التي وراء ، بل
فليعبد ناظر النفس إلى ذلك الجمال السماوي ، ليكن ناظركم فوقاً ، متأملاً ذلك الجمال والسرور ، يا
وارثي الآب ومساهمي ميراث ابن الله الحي .
إن هذه النعم قد وهبها الله لنا فيماذا نكافئه ، هلموا فلنطرح عنا كل اعتناء واهتمام هذا الدهر ،
ولنخدمه وحده بحرص عظيم ونشاط جزيل ، فها يومه بالحقيقة قرب ، ووروده بتأكيد حان .
هلموا إذأ يا إخوتي ، فلنعد ذاتنا ، ونتيقظ منتظرين ربنا الختن السماوي الذي لا يموت ، فإنه ها
يشرق ، ها يبلغ ، لأن تلك الصرخة تصير بغيته ، ها الختن وارد فأخرجوا إلى استقباله يا معشر الذين
أحببتموه وأعدتتم ذاتكم لمعاينته في مجده ، لأن كافة الذين اشتاقوا إليه يفرحهم في حجته الأبدية
المنيرة البهية التي لا توصف .
فأحذروا يا إخوتي إذا صار ذلك أن يوجد أحدكم ماسكاً مصباحه مظلماً لا زيت فيه ، أو لابساً أظماراً
بالية متسخة فيدان ، ويحكم عليه بالظلمة البرانية ، وبذلك العقاب الدهرى الذي لا يفنى ، حيث البكاء
وتفقع الأسنان .
فلنحذر ذاتنا يا أحبائي ، فإننا لا نعلم متى يجئ ربنا ، لأنه كالسارق في الليل ، ومثل الفخ يوافي ذلك
اليوم ، وكبرق حاد هكذا يكون حضور الرب .

^١ كتاب: مقالات مار إفرآم ملفان الكنائس السورية ومعلم الأرثوذكسيين أجمع
وقف على طبعه أحد رهبان دير السيدة العذراء البراموس في بركة الأنبا مقاريوس
طبع سنة ١٨٩٢

لأن البوق يضرب ، فتنزع الأرض من أساساتها ، وترتعد السماوات مع قواتها ، والموتى يقومون كلهم .

يا أحبائي من لا يلومه قلبه في تلك الساعة ، ابسطوا عذر ضعفي فإنني أظن أن كل نسمة ترتعد في تلك الساعة ، لكن نعمة الله تقوي وتفرح قلوب الصديقين ، فيختطفون في السحب إلى استقباله ، أما المضجعون والعاجزون الذين يشبهوني فيلبثون على الأرض مرتعدين .
فلنخفف ذاتنا يا إخوتي من الأرض قليلاً ، لنرتقي بسهولة إلى السماء ، ماذا ينفعنا العالم الذي قيدنا بهومومه ؟ أم ماذا نربح من تزيين الثياب سوى نار لا تطفأ ، أو ماذا تسبب لنا تطيب ألوان الأغذية سوى تعذيب أبدي؟

اعرفوا بتأكيد أننا إن لم نجاهد في هذا الزمان القصير ، فإننا نزمع هناك أن نندم إلى أبد الدهر .
يا إخوتي لم نتوانى ولم نضع ، لماذا لا نغذي أنفسنا ؟ لأن يوم الرب أقرب منا ، لم لا نطرح عنا كل اهتمام غير نافع ونخفف ذاتنا من ثقل الأمور الأرضية .

أما قد عرفتم أن الباب ضيق وضابط ، ولا يستطيع الجزيل القنية أن يدخل فيه ، وهو إنما يحب الذين لا قنية لهم ، الذين قد ضيقوا على ذاتهم باختيارهم بالنسك والتعب ، والذين أعدوا ذاتهم لمعاينة الختن السمائي الباقي في مجده ، ويورثهم ملك السماوات . لأن ها يصوت ربنا قائلاً : أسرعوا إحضاركم ، وتعالوا إليّ ، وليتكاثر عددكم فيّ وفي خدر ربكم ، ولتتعاضم صفوفكم مع الملائكة والقديسين في الضياء .

فأنتم يا أولادي لا تقتنوا على الأرض شيئاً ، ولا تهتموا بشيء ، لأن الختن مستعد للمجيء في سحب السماء بمجد أبيه المبارك ، يدعو كل واحد منكم باسمه ، ويتكئ في طغمة القديسين المتصرفين في النور الذي لا يوصف في الحياة الأبدية التي لا تبلى ولا تنفذ نظير أعماله وأتاعبه .
فلنحرص يا إخوتي ، فلنحرص في هذا الزمان اليسير ، ولا نضع هنا لئلا نندب إلى الدهور التي لا نهاية لها ، حيث لا تنفع الدموع والزفرات ، حيث لا توبة ، إن حرصكم يسر به الملائكة ورؤساء الملائكة ، وونيتكم يفرح بها العدو ، احرصوا يا سروري ، احرصوا أن أسر أنا بكم ، وأنتم بي إلى الدهر .

لك أجتو ساجداً أيها الرب يسوع المسيح ابن الله الحي ، أعطني ولكافة الذين يحبونك أن نعابنك بمجد في ملكك ، ونرثه مع كافة الذين يحبوك وتاقوا إليك .
يا أحبائي إن توانينا وأضعنا في هذا الزمان اليسير ، فلا تكون لنا دالة في ذلك اليوم المخوف ، لأننا لا نجد حجة عن خطايانا ، لأنه منذ أنحدر إلينا ربنا ومخلصنا أنزع كل حجة لأنه وهب لنا حين جاء الحياة الأبدية .

كنا أعداء صالحنا ، أرضيين فصرنا سماويين ، مائتين فدعينا غير مائتين ، بني الظلمة فصرنا بني النور ، مستأسرين ففدينا ، عبيداً للخطية فحررنا ، مساكين فأغنينا ، ضائعين فوجدنا ، ممقوتين فأحبينا .

ظالمين فزكينا ، غير مرحومين فرحمنا ، خطاة فخلصنا ، تريباً ورماداً فصرنا بنياناً لله ، عراة فسترنا ، وصرنا وارثين لله ، ونظير ابنه في ميراث هذه النعم ، قد وهبها لنا ربنا فيماذا نكافئه ؟
يا أحبائي هلموا فلنطرح عن ذاتنا كل اعتناء واهتمام هذا العالم الباطل ، ونخدمه بحرص عظيم ونشاط كبير وحده ، فها يومه حان بالحقيقة ، ووروده دنا منا بتأكيد .
تعالوا فلنعد ذاتنا ونتيقظ منتظرين ربنا الختن الذي لا يموت كأنه أشرق وتلاً وأقبل ، تناهى الليل والنهار أقبل .

يا بني النور بادروا إلى النور ، أخرجوا إلى استقباله بفرح ، أروه فضائلكم ، قدموا له نسككم ومسككم ، سهركم وأتاعبكم ، دموعكم وزهدكم ، لا تضجعوا ، لا تعجزوا ، لا تتعسوا ، لا ترقدوا .

لا ينظر أحدكم إلى الوراء بل ناظر نفسك فليكن إلى العلا ناظراً ، إلى ذلك الجمال السمائي، ليكن ناظرك فوقاً متأملاً ذلك الفرح الذي لا يفنى، الذي لا تشعب منه نفوسكم من معاينة مجده وبهائه وحسنه .

من يجع فليصبر ، لأن ها مائدة الملكوت تنتظره . من يعطش فليثبت ، فها نعيم الفردوس أستعد له . من يسهر ويصلي ويرتل ويبيك فليبتأيد ، فإن سرور حجة ربه تعزيه . فإذ قد عرفنا هذه كلها يا إخوتي فلا نفتني على الأرض شيئاً ، لأن كل أحد منكم في ذلك اليوم سيرى أية فضيلة قد أقتناها من هنا أو أي أتعاب أحتملها ، أو أي نسك أو أي سهر أظهره . أتري إذا أشهر الشهداء جراحات العذاب والعقوبات ، والنسك الشجاع نسكهم وحميتهم ، وما لهم من الصبر والحزن والزهدي ، فالمضجعون والعاجزون والمنتزهون بماذا يفتخرون ؟ أبرخاوتهم وونيتهم وهلاكهم ، الويل لهم إذا توانوا ، يا للأسف إذا أضجعوا . تعالوا يا أحبتي ، تعالوا نحصر ، هلموا نسجد له ، ولنح ونبك أمامه بجراءة ليعطينا استنارة نفس ، فننقطن حيل عدونا ومعاندنا وماقت الخير ، الذي يجعل قدامنا مزلقات ومعاثر ومضرات كثرة الاقتناء ، وتنزه هذا الدهر ، واللذة البشرية . وانتظار طول زمان هذه الحياة الحاضرة ، وجزعاً من النسك ، وعجزاً عن الصلوات ، ونوماً في الترتيل ، وراحة بشرية .

فبمقدار ما يحصر ذلك نضجع ونتواني ، بقدر ما يمكن ذلك نتهاون نحن ، فلنعلم موقنين أن أيامنا قصرت ، والوقت قد أرف ، ورب المجد سيجيء بحسن بهائه ، وبقوات ملائكته المرهبين ، فيجازي كل واحد نظير عمله .

فأخشى يا إخوتي أن يتم فينا قول القائل : أنهم سيجيئون من المشارق والمغرب ، والجنوب والشمال ، ويتكئون مع إبراهيم واسحق ويعقوب في ملك السماوات ، وأنتم تلقون خارجاً . إليك أتضرع أيها المسيح نور الحق ، وابن الأب المبارك ، صورته وشعاع أفتومه ، أيها الجالس عن يمين عظمته ، أيها الابن الذي لا يدرك ، المسيح الذي لا ينتهي أثره ، الإله الذي لا يفحص . يا فخر وسرور الذين يحبونك ، أيها المسيح حياتي ، خلصني أنا الخاطيء في ملكك ، إن الفاعل المتعوب ينتظر أن يأخذ حقوق أجرته ، وبلي فإن لساني يتعب في تلاوة التمجيد ، لا تجازيني نظير أعمال بل خلصني بنعمتك ، وترأف عليّ بتحنتك فإنك أنت هو المبارك والمجد إلى الدهور . آمين .